حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا!

لما ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب لأورشليم ويتألم ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم أخذه بطرس إليه *"وابتدأ بنتهره قائلاً: حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا!"* (مت١٦:٢٢). فكان رد السيد المسيح عليه صارماً جداً: *"اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"* (مت١٦:٢٣). وكأن بطرس اتخذ موقف الرافض بل والمقاوم لأن يرى المسيح متألماً مجروحاً.

والحقيقة أن موقف بطرس الرسول هذا هو بعينه موقف كل من يستنكر ويتأفف من جراح وآلام المسيح المجروح بها في بيت أحبائه، أي في جسده الذي هو كنيسته. إنه يرفض أن يرى الضعف في جماعة المؤمنين ولسان حاله يصرخ إلى الله: *"لا يكون لك هذا!"*. حاشاك يا رب! لا يكون لجسدك ألم الغيرة المرة والتحزب! لا يكون لجسدك جراح البغضة والحسد! لا يكون لجسدك أوجاع محبة الذات والمجد الباطل! ويأتي هذا الرفض في عدة صور تتراوح بين الإحتجاج الصاخب الغاضب، والإنزواء والعزلة في إنزعاج وألم.

لكن هوذا الله يجيبنا بكل حزم وعتاب: هوذا أنا قائم مذبوح في كل حين. إنها حماقة أن تتوقعوا أن يوجد جسدي في وقت ما غير موسوم بعلامات الألم وجراح الصليب! أنا قبلت أن أصير خطية لأجلكم. أنا حامل في كل حين في جسدي، الذي هو أنتم، كل ضعف وكل خطية. لم يحدث قط أن كانت جراحي خفية بل كانت معلنة للجميع على الصليب. لا تتزعجوا من هذا الإعلان وتتخذوا موقف الديان بعضكم لبعض. بل ليتذكر كل واحد منكم أنه كما أنني مجروح في ضعفات أخيه فأنا أيضاً مجروح في ضعفاته! إن الخشبة التي في عينك تجرحني أكثر من القذى الذي في عين أخيك! لقد اختزل بطرس كلامي واقتطعه عند عبارة: "يتألم ويقتل" فابتدأ ينتهرني. لكنه لم يستوعب أنني قلت: "يتألم ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم". فالصليب والقيامة متلازمان. جسدي، الذي هو أنتم، هو حامل لكل خطية وضعف ولكنه في نفس الوقت قائم في نصرة على كل موت وفساد. فلماذا لا ترون في بعضكم البعض سوى الضعف والموت؟ لماذا تئنون بعضكم على بعض؟ لماذا لا ترون قيامتي ونصرتي فيهم وفيكم؟ هذا هو مجدي الحقيقي في كنيستي أن أخرج من الآكل أكلاً وأن أحول الضعف إلى قوة.

إن كنت تريد أن تقف عند صليبي مع المريمات فإعلم أنني لم أكشف لك عن جراحي لكي تبكي عليّ أنا العود الرطب بل لكي تبكي على يبوسة عودك! وإن أردت أن تظهر لي حبك فلتكن كالسامري الصالح عندما تعبر على آلام جسدي، أي كنيستي. فلتتقدم بكل تواضع وحب لتضمد جراحي عالماً أنك فيما تضمدها تحصل في الحقيقة على شفاء آلام وجراح إنسانك الداخلي العديمة الشفاء!